بديع الزمان سعيد النورسي في حرب التحرير

د. جزمي أر أصلان *

إن التاريخ المسمى مرحلة حرب التحرير "١٩١٨-١٩٢٢م"، يحمل اهمية كبيرة في تاريخ الجمهورية من منظور عمق نتائجها وانتشارها. إن قضية بقاء دولة عمرها ستة قرون و قضية وقوفها على قدميها، ساقت الناس الذين يحبون دولتهم وامتهم للبحث عن طرق الخلاص. لقد كان بين الناس الذين اتخذوا مكانهم في الكفاح - في مرحلة فعاليته - العساكر ورجال الدين وأرباب الحرف بشكل كثيف مما يدل على اهتمام هذه القطاعات بمقدرات البلاد عن قرب.

لكن وكما هو معلوم فإن المرحلة الثانية التي بدأت بتاريخ ١٩ آيار ١٩١٩م بقبول حكومة إسطنبول لهذه الحكومة "انقرة" وعرض ذلك على السلطان وتصديق السلطان عليه، جعل ارباب العلم والفكر في البلاد امام ترجيحين.

عند قضية الترجيح بين الانقياد حكومة إسطنبول او تأييد البرلمان في انقرة وحكومتها، فالنصر هو الذي سيبين الاحقية. ولأن حركة الاناضول التي ايدتها حكومة إسطنبول والسلطان في البداية ثم بدأت بالتحفظ والمراقبة عن بعد، ثم عدّوها خصماً بعد نيسان ١٩٢٠م، بعد أن احرزت النجاح، فإن الذين عارضوها سيتعرضون لفقدان مكانتهم. فكان كل انسان من كل قطاع يحمل في نفسه هذه الثنائية.

وقد كان سعيد النورسي احد هذه الشخصيات النادرة التي استطاعت التأليف في هذه الثنائية التي يقيّم الطرفين ضمن دائرة العقل والاذعان والانصاف. وسنتناول في هذه الدراسة "الخطوات الستة" التي هي اهم نشاطاته في هذه المرحلة، حيث دعاه اتاتورك الى انقرة، مركز حركة التحرير بسبب كفاحه في هذه الجبهة بقلمه ونجاحه في ذلك، دون ابعاد الخليفة عن الساحة وبتقييم وضعه الدقيق.

سنحصل على جواب سؤال "لماذا الخطوات الست؟" عندما نلتقي مع هذه الرسالة الصغيرة لمؤلفها الذي يملك قلماً سلساً، وحافظة نادرة ويستحق كل تقدير.

هذا الكتيب الذي كتب عند احتلال قوات الائتلاف لإسطنبول، هو بالنسبة لحجمه واسع ومدعم بالمطالعات الشاملة. ويصور إدارة الدولة العثمانية وعقلية المستعمرين والرأى العام بأفضل شكل وأقصر في مرحلة الاحتلال.

والخاصية الاخرى التي اثرت على تناولنا لـ"لخطوات الستة" هي، ابداء انقرة رغبة كبيرة لكفاح سعيد النورسي بهذه الوسيلة التي كانت وسيلة لدعمه بحرارة وسبب مهم لدعوته الى انقرة للاستمرار في جهاده هناك١.

وعلينا ان نذكر هنا بالسلوك المعارض الذي اتبعه سعيد النورسي تجاه الفتاوى التي افتت بها المشيخة الاسلامية لمختلف الاسباب في بداية حرب التحرير. فقد كان كثير من رجال الدين والمفتين في الاناضول قد افتوا بعكس هذه الفتاوى التي تدين رجال المقاومة الوطنية دينياً ووجداناً لدى الرأى العام، تقضى بعدم حرمة ارواح واموال من يشارك فيها. وقد اوضح سعيد النورسي بتناقض فتوى إسطنبول وبيّن انه لا أساس لها.

وبالاشارة الى ضرورة الاستماع لطرفي الفتوى، وادعى وجوب الاستماع لطرف الاناضول، وفنّد فتوى إسطنبول من اساسها مبيناً ان الذي حدث - في الفتوى- هو اطلاق العدالة على الظلم والعصيان على الجهاد والحرية على الأسر٢ وخلال ذلك نشاهد ان سعيد النورسي يقابل اجراءات حركة الاناضول بالتقدير، فيقول:

"انه لجدير بالانتباه : أن علماء مركز الخلافة مع علماء دار الحكمة الاسلامية وموظفي الاخلاق، لم يتمكنوا بمجموعهم الحد من الفحشاء والسكر والقمار وامثالها من الكبائر ناهيك عن ازالتها، بينما أمر من اوامر حكومة الاناضول منع كل تلك

الكبائر، اذن ان لم تمتزج دساتير الحكمة ونواميس الحكومة وقوانين الحق وقواعد القوة بعضها ببعض ولم يستمد كل من الآخر ولم يستند اليه، فلا تكون مثمرة ولا مؤثرة لدى جمهور الناس. فتُهمَل شعائر الشريعة وتعطّل، فلا يستند اليها الناس في امورهم ولا يثقون بها"٣

لذلك يجب ان نبين انه رغم كون إسطنبول مركز الخلافة، ومركز العلم، ومركز الحكومة إلا انها لم تستطع القيام بوظائفها بسبب ضعفها. وهذا الضعف ادى الى فشل الادارة العثمانية في الدفاع عن حقوق الدولة والامة، وسنشاهد بعبرة ان رجال الدولة الذين استلموا الحكم في هذه المرحلة طلبوا حماية المستعمرين مرات عديدة، ويشير سعيد النورسي في الخطوة السادسة لهذا الموضوع.

تبدأ الخطوات الست لسعيد النورسي اولاً بتعيين العدو. وقد بين سعيد النورسي ان هناك شياطين بصورة بشر دوماً، وان السياسة الغدارة للدولة صارت في هذه المرحلة وكيلة للشيطان ووصلت الى غايته ببث الفتنة بين الناس، ويبين سعيد النورسي انه يسعى للحصول على نتيجة تجاه الدولة العثمانية بست خطوات. إن الشيطان الذي هو على شكل انسان والملقب بالخناس وهو الذي يحرك الخاصية الضارة في طبيعة الانسان بالدعاية الفعلية يسخر حرص الانتقام، والطمع بالمال والمقام، ولا دينية البعض، وتعصب البعض الآخر لسياسته.

وبعد هذا المدخل القصير من الافضل ان نتناول حال الامة والدولة العثمانية في تلك المرحلة. وبهذا سنرى الخطوات الست والاصابة في تعيينها بشكل أفضل.

لقد انتهت الايام الاخيرة للدولة المتعددة الاقوام والاديان والتي استمرت ستة قرون بالحرب التي دامت اربع سنوات وفتحت على الامة جروحاً غائرة لا تندمل بسهولة. لكن عقب الاضرار المادية جاءت الضربات المعنوية الواحدة تلو الأخرى والتي تؤثر كثيراً على الأمة. فقد دخل اليونان بجيشه الى إزمير بتاريخ ١٥ آيار ١٩١٩م بعد دعم السياسة الانجليزية لهم، ورغم وعودهم بأنهم سيبقون في حدود منطقة ضيقة إلا انهم أحرقوا وهدموا كل ما امامهم واستمروا في التوغل. وقد انتظمت حركة المقاومة في الاناضول بشكل جدي بعد وصول قائدها مصطفى كمال باشا الى الاناضول حيث أُرسل كمفتش للجيش التاسع في الاناضول. وإن تنظيم المقاومة ادى الى استياء المستعمرين وزيادة ضغوطهم على الحكومة. ونتيجة هذه الضغوط اضطرت الادارة العثمانية الى اعلانها أنها حركة غير قانونية رغم انها هي التي دفعتها وباشرت بها أول الأمر - كما سنفصلها في الخطوة الخامسة. لكن قوات الاحتلال التي لا تريد ان تترك الوضع غامضاً تحتل إسطنبول بتاريخ ١٦ آذار ١٩٢٠م. وفي هذا الوضع يشارك سعيد النورسي في الكفاح ضد الاعداء بعزمه على القيام بمجابهة المستعمرين بست خطوات.

ففي الخطوة الاولى من الخطوات الست يلفت سعيد النورسي النظر الى نقطة مهمة جداً تجاه قوات الاحتلال التي تقول "أأنتم تعترفون أنكم مستحقون لهذه المصيبة، فالقدر الالهي يعدل ولا يظلم، اذنً فارضوا بما اعاملكم به ، لأني وسيلة لما استحققتم". حيث يقول سعيد النورسي: "ان القدر الإلهي يصيبنا بمصيبة بسبب عصياننا لاوامر الله. فالرضى بما قدر الله هو عين التوبة عن سبب المصيبة، وهو الذنوب. ولكنك ايها الواسط الملعون تظلمنا لكوننا مسلمين، وتصيبنا بظلمك لاسلامنا، لا لذنوبنا ومعاصينا، فالرضى بما تعمل، واطاعتك طوعاً انما هو ندامة عن الاسلام واعراض عنه والعياذ بالله"،ويبين ان الرضى بذلك وقبوله سيكون سلوكاً ضد الاسلام، ونشاهده يسعى لرفع الروح المعنوية من جديد لدى المجتمع.

وعندما يقول سعيد النورسي ذلك يشير الى وجود وسط يدفع لهذا القول. والحقيقة إنه رغم مجئ إدارة الاتحاد والترقي بالمشروطية والحرية بتحديات وادعاءات كبيرة، إلا ان اجراءاتهم الديكتاتورية ادت الى قلق الشعب. وان دخول قسم من منتسبي الاتحاد والترقي للمنظمة الماسونية، وابتعاد القسم الآخر من الاسلام بسبب ميوله الى المذهب العقلي ادى الى ابتعاد

المتدينين عنهم. وإن تسخير عساكر المستعمرات الاسلامية خلال الحرب العالمية الاولى من طرف الانجليز بدعاية تخليض السلطان من الاتحاديين الملحدين والماسونيين، ادى الى نظر البعض من المسلمين الى انجلترا على انها مخلصة.٤

وفي المرحلة الثانية يقول "انكم قد اتفقتم من هو مثلي في الكفر، فَلِمَ تتجنبون من المصافاة معي وموالاتي؟". وقد وصف سعيد النورسي هذه الحالة بالوسوسة. ويشير "نحن نقبِل يد المعاونة، ولا نَقْبل يد المعاداة فهما شيئان متغايران، لأن كل صفة من صفات الكافر ليست بكافرة أو ناشئة من كفره، لذا لا مشاحة في مصافحة يد الكافر الذي مدها لمعاونة الاسلام، وذلك لدفع عدو الاسلام المعتدى العريق. بل قبولها انما هوخدمة للاسلام. أما أنت ايها الكافر الملعون فتمدّ يد الخصومة التي لا تهدأ، وتريد منا تقبيلها مع الاستسلام. ونحن نعلم أن مسها - فضلاً عن تقبيلها - جناية على الاسلام وعداء له". وقوات الاحتلال هنا تقول مثل صداقتكم للكافرين الآخرين، فقد تم تأسيس جمعية مبادئ ويلسون من طرف الشخصيات البارزة في عالم الصحافة والادب بتاريخ ١٤ كانون ثاني ١٩١٩م وذلك من اجل اتباع مبادئ الرئيس الامريكي ويلسون.

كما ان المادة السابعة من قرارات مؤتمر سيواس كانت تحمل نداء الى امريكا من اجل المساعدة الاقتصادية والصناعية بشرط عدم المساس بالاستقلال السياسي. وبعد مقابلة الجنرال Harbourd لمصطفى كمال في سيواس ضمن هذا الاطار يسعى لشرح حركة التحرير لمجتمعه.

وإن إجراء وقفة قصيرة هنا سيكون مفيداً من اجل تحليل الخطوات التالية.

لقد كانت هناك فكرتين بين العساكر ورجال الدولة والمثقفين، والشعب.

١- المكافحون الوطنيون الذين يرون عدم ترك النشاط السياسي لكن مع اعداد الارضية المناسبة بالمقاومة المسلحة.

٢- الذين يرون حل القضية بالطرق الدبلوماسية دون القيام بأية حركة تغضب المحتلين.

وقد كان الدماد فريد باشا الذي ادار البلاد اربع مرات كرئيس حكومة في هذه المرحلة المليئة بالازمات، يقود القسم الثاني. ونستطيع القول بالاستناد الى الوثائق الموجودة بين ايدينا ان السلطان كان من القسم الاول لكنه لم يستطع مقاومة الضغوط ففقد امله وانتقل الى القسم الثاني.

وفي الخطوة الثالثة نجده يورد خطابهم الى المجتمع العثماني "أن من ساسوكم الى الان افسدوا واستهانوا بحقكم وشوشوا عليكم الادارة وظلموكم، اذاً فلستم اهلاً للادارة، فاتخذوني وصيّاً عليكم وارضوا بحكمي وادارتي شؤوكم" ويبين سعيد النورسي من منظور تاريخ واسع ان هذا عبارة عن حيلة "ان السبب الاصلي للسيئات التي ارتكبها رؤساء امورنا ما هو الا انت، لأنك قد ضيقت عليهم الدنيا، وقطعت في كل فرصة مجاري حياتهم، وبثت بينهم اولادك غير الشرعيين ، واجبرتهم على ترك الدين للدنيا اذ تنكحهم مدنية لا تأخذ مهرها الا من دينهم ولا تعين حاكماً الا وقد أخذت منه دينه رشوة لقاء منصبه". ويصرخ ملء فيهم وبعزم كبير "سنعيش بشكل إنساني

ومسلمين" .

وقد جاءت نفس الخصوص في برقية ابرقها قائمقام مدينة صالحلي تحسين بك الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩١٩م: "إن فاجعة "منامن" التي تلت احداث إزمير ادت الى إرهاب الاهالي عندنا وفي الاقضية المجاورة للمنطقة المحتلة ، والاساءة بالشعور الديني والقومي، وان القادة قادة الضباط المتطوعين والذين حملوا السلاح بعزيمة للمدافعة عن الوطن والمحافظة على الشعور والشرف اتخذوا مركزهم عندنا، مما أدى الى اجتماعهم وسوقهم ضمن: القوى الوطنية وهذا ادّى الى ازدياد تعداد هذه القوة يوماً بعد يوم بالاشتراك والمعاونة"٥. وتدل لنا الوثائق ان ذلك لم يكن ردة فعل مؤقتة. كما ان تحسين بك يبين ان الحكومة إذا لم تفعل شيئاً مشخصاً تجاه تقدم اليونان فإنه "لن يكون من الممكن الوقوف امام الحركات والاجتماعات الوطنية" ٦. وإن هذه الانتفاضة الدينية والقومية والوطنية ستستمر حتى الاستقلال.

وقد شكلت الخطوة الرابعة وسيلة دعاية مهمة. اذ قيم سعيد النورسي القول: "ان الذين يخاصمونني من اولياء اموركم في الاناضول، نيتهم فاسدة ومقصدهم ليس مقاصدكم الاسلامية عينها" بزنه وسوسة، ويبين ان نيتهم لن يكون لها تأثير على الهدف الاساسي. والهدف الاساسي هو تخليص الدين والوطن والامة ولا خلاف في هذا وكما أشرنا سابقاً فاستخدام الدعاية من اجل جعل الحركة المهمة لتخليص الوطن بمعزل عن دعم الشعب والمثقفين المتدينيين. ورغم إن ظهور الخلاف في الفكر بين كادر حرب التحرير بعد نجاح الحركة، وانفصالهم عن بعضهم يدفع للتفكير بالحقيقة المدعاة، إلا ان الهدف الاساسي للذين طالبوا بجعل القرآن هو اسمى من كل شئ هو انقاذ الشعب. ويتضح لنا ان سعيداً النورسي قد شاهد الخلافات الفكرية وعرف مقاصدها ايا كانت. والكادر الكلي كان من الناس المتمايزين في تلك المرحلة حقاً، ويجب ان يعرف ان احوالهم وسلوكهم كانت ممتزجة بمشكلات البلاد. وإن الفرق بينهم سيظهر فيما بعد.

إن الخطوة التي تعين آثارها بوضوح هي الخطوة الخامسة: "ان الامام - اي الخليفة - يؤيد سياستنا ويميل الى الود معنا، وامره مطاع"، وهذا الخصوص لا يزال يستغل حتى اليوم، فقد ولدت آثاراً سلبية الى ابعد الحدود ضد الحركة الوطنية، في تلك الايام التي لم تكن قد تطورت فيها وسائل الاتصالات. وقد بين سعيد النورسي ان إرادة الخلافة ليست صحيحة، وان السلطان وحيد الدين انسان متدين لم يصدر هذا الامر عن رضى منه، واثبت ان إطاعته غير واجبة، وبهذا رفع معنويات الحركة الوطنية. وهناك فرق بين الامر الشخصي للخليفة، والارادة المعنوية لشخصية الخلافة باسم الامة. وهذه الارادة تستند الى شورى الامة "مجلس الشورى" ، والقوة المسلحة "الجيش" والامة الحرة التي هي بمثابة العقل من اجل متابعة امور العالم الاسلامي. لكن القرار اتخذ تحت حراب الاعداء المستغلين. ويجب عدم اطاعته". واذا نظرنا الى الوثائق المتعلقة بتلك المرحلة، نجد ان قيادة الاحتلال الانجليزي ضغطت كثيراً من اجل ايقاف مصطفى كمال باشا عن نشاطاته في أماسيا وصمصون وانسحابه، وعندما تدخل السلطان أخيراً بيّن لمصطفى كمال باشا في برقيته المؤرخة في ٨ تموز ١٩١٩م أن نشاطاته أقلقت الانجليز وبدأوا يضغطون على الحكومة، وانه خلال السعي لعمل شئ ما بالطرق السياسية فإن مثل هذه النشاطات ستؤدي الى احداث جو سلبي٧. وهناك نقطة اخرى تلقت الانتباه في برقية السلطان : "عندما تحصل الموفقية فلضمان وجود موجودية دولتنا واستقلالها يمكن انقاذ الارياف بقوة من مركز السلطنة إذا تعرض الارياف للخطر، إما إذا تعرض المركز للخطر فإنه لا يمكن انقاذ المركز من الارياف"٨. ويبين السلطان هنا ان القيام بحركة معقولة ستحقق الامن والنظام في البلاد. لكن سعيداً النورسي يعرض رأياً آخر حول هذا الموضوع: "والمصلحة انما تتوجه من المحيط الاسلامي الى المركز، فترجح الفائدة العظمى للاسلام والمسلمين على المصالح الشخصية. والا لو انعكس الامر ورجحت - عند التعارض - مصلحة القربى على المصلحة العظمى، كترجيح سرير السلطنة على إسطنبول وهي على الاناضول وهو على الدولة وضُحي بالعالم الاسلام لأجل الدولة فهذا الترجيح لا يطاع".

ويجب ان نوضح هنا ان غاية الخليفة، وغاية حركة الاناضول هي تخليص الدولة والامة، لكن رأي سعيد النورسي هذا يشمل العالم الاسلامي قبل كل شئ. والذي سيظهر هنا هو انه يدرك حقيقة علاقة هذا الكفاح بمستقبل العالم الاسلامي ككل. وبهذا يصر على عدم العمل بالفتوى التي ستعيق هذا الكفاح. وإذا عدنا الى تلك الايام نجد في المرحلة الاولى ان القوات التي اجتمعت بقرار توقيف مصطفى كمال باشا ورفقاءه واتخذت التدابير من طرف الاركان العسكرية والملكية، وانتهت بقبول تفريقها بسرعة كما طلبت امراً مهماً وضرورياً والزاماً٩. وقد ازيلت نقاط الخلاف لدرجة مهمة بعد اللقاءات التي جرت بتاريخ ٢٠-٢٢ تشرين اول ١٩١٩م في اماسيا، واعيدت الاعتبارات. لكن نتيجة احتلال إسطنبول ومهاجمة المجلس وفسخه فيما بعد وتأسيس مجلس الامة التركي العظيم في انقرة بتاريخ ٢٣ نيسان ١٣٢٠م ونتيجة إجراءت حكومة فريد باشا صدرت إرادة الخليفة بـ "إعدام المتهمين بترتيب وبث الفتنة والفساد تحت اسم القوى الوطنية وهم مصطفى كمال، وقره واصف، وعلي فؤاد باشا، والفرد رستم، والدكتور عدنان بيك، وخالدة اديب". لكن في هذه الاثناء كان الخليفة يُهدد بترك إسطنبول لليونان.١٠

وبعد ذلك يتضح ان العدوالمشار اليه هو انجلترا، والخطوة السادسة توضح ذلك بكل وضوح. وبعد ان ينقل سعيد النورسي جوابه حول القول بأن مقاومتكم لا فائدة فيها ولا جدوى منها، انكم تلقون انفسكم بايديكم الى التهلكة، اذ كيف تقتدرون وحدكم على مالم تقتدروا عليه مع حلفائكم؟" سنعرض الوثائق التي تؤيد ذلك.

إن القوة التي ترى كبيرة بالحيلة والفتنة لم تعد مخيفة. وذلك "ان قوتك العظيمة المخاصمة لنا، انما تتماسك متخاذلة على رجَلي الحيلةَ والافساد فلا نيأس لاسباب ثلاثة:

الأول: ان الحيلة والافساد انما تؤثران اذا استترتا تحت حجاب الخفاء والغفلة، فاذا ما تظاهرتا أفلستا، وانطفأت قوتهما.. وها قد تمزق الحجاب تمزقاً صيّر كذبك وهذيانك وافسادك اضحوكة، وشيئاً عقيماً لا يؤثر في شئ.

الثاني: ان قوتك المأفونة المنخورة المخاصمة لنا ليست بلا اعداء اذ تقابلها اعدا لا يقبلون الائتلاف معك ابداً، مما يقضي عليها ويجعل تسعين بالمئة منها معطلة لا نفع تجثم على عالم الاسلام وتسكته بكمّ الافواه وتأسره حتى تتركه دون حراك، ذلك العالم اليقظ الذي تشترك اجزاؤه في الداء والداء.

فهذا احتمال بعيد جداً، ان اعتقدته فانك اذا احط من الدابة واحمق من الحمار مع انك شيطان خبيث.

الثالث: ان كان لابد من الهلاك فالموت بعزة حياة لنا والحياة بذلٍ هي الموت بعينه. والموت على نوعين وصورتين:

احدهما: التسليم والتذلل تحت اقدامك، فحينها نكون مقاتلين لروحنا ووجداننا بأيدنا. ثم يقتل الخصم جسدنا كأنه قصاص لقتلنا الروح والوجدان.

والنوع الثاني: ان يحافظ المرء على وجدانه ويقاوم خصمه، ويبصق في وجهه وينزل صفعته على عينه، فيحيا الروح والوجدان، ويستشهد الجسد، وتتنزه الفضيلة على الرذيلة والعقيدة عن الاستخفاف وعزة الاسلام عن الاستهزاء"

وباختصار "إن حب الاسلام يوجب معاداة الانجليز. يعني ان جبريل لا يسالم الشيطان. "ولنذكر ان هذا التقييم يعود الى تلك الأيام". وإن احمق وابله مفهوم بين اجراءاتنا السياسية هو مشاهدة "مصالح الانكليز واطماعهم قابلة للتوفيق مع منفعة الاسلام وعزته" وينبه ان القضية ليست قضية العثمانيين وإسطنبول فقط، بل هي قضية تتعلق بالسلوك الاسلامي، كما ان أحمق واسفل فكر "قبول الحياة تحت حمايته"، وأن الظن بأن العيش محدود به هو محال.

وبهذا القول يكون سعيد النورسي قد اخرج الذين يؤيدون الانتداب والحماية خارج الصف، كما يصف قرار الحكومة

بالاستمرار في حياتها تحت حماية المستعمرين والصادر عن ضعفها غير ممكن قطعاً١١ وسنقدم الوثائق المتعلقة بذلك في نهاية هذا القسم.

كما أننا نشاهد ان سعيداً النورسي يقوم بالعطف على المادة السابعة لمعاهدة مندوروس١٢ فيقول: "عيشوا، لكن إذا خانني شخص واحد فسأحرق وأهدم". "إذا اعترض احد على ظلمه الكافر من اجل صداقة الحق، فسيخرب جميع المجتمع". وان سعيد النورسي الذي يلعن الحضارة التي اعطته هذه الصلاحية يرى ان هذا الحقد الذي يبديه الانجليز ليس بسبب الخصومة الحربية. ولو كان كذلك فإن عداءه يجب ان ينطفى. ويبين ان الحيوانات المعروفة بجنبها تبدي مقاومة غير متوقعة وتهزم عدوها، ويعرض نموذج القرى الروسية "إن الهيجان الفطري مثل الماء في كرة الحديد تمزق كل شئ عندما تتعرض لبرودة الخصومة الكافرة للظلم". وبعد هذه الإضافة لا يتهرب من إظهار "أمله بأن الشهامة الخارقة للعادة في ماهية الايمان، والشجاعة في طبيعة العزة الاسلامية، وانتباه الاخوة الاسلامية، سيحقق نتائج معجزة في كل وقت"، وان الاحداث ستظهر مصداقيته.

وعندما تابعنا في الوثائق كيف استقرت الادعاءات المذكورة في الخطوة الأخيرة عند رجال الدولة في اعلى مراتبها، نجد الفتور اللامتناهي تجاه قوة الخصم الذي لم نستطع هزيمته مع حلفائنا: وإن الشفرة التي ارسلتها وزارة الداخلية. بعد ردة الفعل تجاه احتلال اليونان لازمير بتاريخ ١٧ أيار ١٩١٩م ستشكل بداية جيدة لهذه الخطوة في اثنى عشر ولاية من ادرنه الى وان وفي خمسة عشر متصرفية من جاتالجا الى ارزنجان. وبعد ان بينت الحكومة انها احتجت على احتلال ازمير بشدة لدى ممثلي قوات الاحتلال في إسطنبول قالت "ليس من الممكن مقاومة القوة الغالبة مادياً"١٣ وبهذا تكون قد حكمت بالاستسلام على الكفاح منذ البداية.

والحقيقة فلقد تبين ان ذلك لا يعني التخلي عن الحقوق، وقد عد "الوقار والمحافظة على النظام عمل وطني" ١٤ حتى تتوضح الامور "حتى يحصلوا على النتيجة بالنشاطات السياسية". وقد كان المسؤولون في الدولة متفقين في نقطة انه لا يمكن ان نفعل شيئاً لوحدنا لم نستطع فعله مع حلفائنا، ويتضح ذلك من الوثائق التي سنعرضها فيما بعد. وخلال السعي لتخفيف ردود الفعل بعد ذلك، فقد ازدادت ضغوط الانجليز الذين قلقوا من نشاطات مصطفى كمال باشا في صمصون، وحوزا، وآماسيا. وقد جاء في الكتاب الذي ارسلته وزارة الخارجية الى وازرة الداخلية بتاريخ ٩ حزيران ١٩١٩م بأمر عاجل من مسؤول حالة الطوارى الانجليزي السير ارثور كالتور في طلب بشكل خاص عزل مصطفى كمال باشا، ونبهت بشكل عام ان كل فوضى تحدث في البلاد، وكل حركة تحمل ماهية دينية وخاصة بين عناصر الدولة ستؤدي الى نتائج وخيمة١٥ وبتأثير هذه الضغوط طالبت الحكومة بالمحافظة على السكون والامن العام، وقررت معاقبة من يسمح لأية حركة تخل بالامن ومن يشارك فيها مهما كانت غايتها. وهذا السلوك يبين لنا مدى تأثير تهديد "استمروا في حياتكم لكن إذا خاننى احد فسأحرق وأهدم" على الحكومة.

وتشاهد في هذه البرقية التي عممت بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٩م الاستسلام وعدم الثقة بالنفس. "إن الحكومة العثمانية، مهما كانت درجة التأثير والانفعالات بسبب اغتصاب الحقوق والاحتلالات الغدارة فانها لن تحارب اليونان ولا إيطاليا. وذلك لأنها في وضع لا تستطيع الدفاع فيه عن نفسها إلا بالسياسة"١٦ وقد كانوا يرون كل حركة تعيق النجاح السياسي الذي حققه الممثلون الذين شاركوا في مؤتمر باريس وفي المرحلة التي زاد فيها الامل بتخليص الاجزاء الأصلية للوطن عبارة عن مصيبة كبيرة. ويشار الى ان نشاطات تشكيل الجيش القومي، ومنع الالحاق بشكل فعلي، والإعداد للدفاع القومي ومثلها من النشاطات هي هذه المصيبة. وهذا الموقف يقيّم وكأنه "وطنية حمقى" ١٧ وإن الحكومة تعتقد أنه لا يمكن ان تفعل الدولة والامة شيئاً بقوتها وإمكانيتها، وقد قررت بعد دخول اليونان الى تراقيا وبدأ المواطنون الروم في المنطقة بالتسلح "سحب

القوات اليونانية، وإذا لم يتمكن ذلك فتبديلها مع إحدى القوى العسكرية الائتلافية وجمع الأسلحة الموجودة من الأهالي بمساعدة قوات الائتلاف"١٨ ونفهم من ذلك ان الحكومة كانت صادقة بهذا الموقف، وكما عبر سعيد النورسي إننا نفهم ان الحكومة بقرارها هذا قبلت منفعتها هي منفعة الشعب: "كون امر المدافعة يتم من طرف الجيش العثماني فلم يبق لزوماً للتشكيلات الخاصة فإنه يلزم ان تترك هذه الامور وتشتغل بأعمالها"١٩

والسلوك الذي يبين ان الحكومة ترى المحافظة على أساس الدولة والامة والبلاد تخصها فقط وأنها لا ترى الناس الذين يعيشون في الداخل مدركين لحقوقهم وحرياتهم ووظائفهم هذا السلوك يحمل تاريخ ٢ آب ١٩١٩م.

بينما كانت الحكومة تتفائل بأنها قامت بجميع المحاولات السياسية لمنع الاعتداءات اليونانية، وأنها نبهت المسؤولين باستمرار، وأنها ستحصل على نتائج إيجابية في القريب العاجل، لكن قلقها الوحيد هو التأثيرات السيئة التي "ستنتج عن مختلف اشكال الفعاليات والحركات التي تتم من طرف غير المسؤولين"٢٠.

وإن إنهاء مثل هذه الاوضاع يعد امراً أهم والزم من اجل المصلحة الوطنية. ويجب ان نضيف هنا دون ان تؤدي للفهم الخاطى، إن دول الإئتلاف لم تكن غير مهتمة برجال الدولة العثمانية، لكن كانوا يشترطون من اجل تحقيق طلباتهم، حل التنظيمات الوطنية وقواتها.٢١

وفي نهاية هذا القسم نجد فائدة في اعطاء مثال على تناول الاداريين المحليين لهذه القضية: ونود ان نبين هنا انه كان هناك مسؤولين لم يفهموا القضية وسعوا لمنعها بجهود ذات نوايا حسنة، منهم من فهم القضية وساق الحكومة لاتخاذ مواقف اكثر فاعلية، ومنهم من يشتكي من عدم قيام الحكومة باتخاذ موقف واضح.فمثلاً؛ إن البرقية التي ارسلها متصرف دنيزلي فائق بك بتاريخ ١٦ تموز ١٩١٩م بشكل عاجل تجلب الانتباه حيث: يقوم فائق باجراء تقييم للوضع مشتكياً من عدم الاهتمام بالتحذيرات التي تمت منذ بداية الاحتلال: وقد قال المتصرف انه يمكن اتخاذ نوعين من التدابير لمنع انتشار الاحتلال، الاول هو "تهديد ساحة الاحتلال بالنشاطات السياسية" وتخفيف الضغط في المناطق المحتلة، والثاني بمخالفة قرارات المؤتمر "ومنع توسيع ساحة الاحتلال باستخدام القوة"٢٢ ورغم عدم مشاهدته بأنه يمكن القول حول امكانية الحصول على نتيجة بالطرق السياسية إلا انه شوهد انه يمكن منع توسيع الاحتلال بعد حادثة آيدين. فقد كانت القوات الوطنية تستطيع منع تقدم قوات الاحتلال. فقد اثبتت التطورات ان "القوات اليونانية مضطرة للانسحاب في مواجهة قوة ما "٢٣. وانه منع اتلاف آلاف بل مئات الالاف من المسلمين واموالهم بتشكيل جيش منظم ومدرب.

ومقابل ذلك فقد ارسل متصرف قيصري علوي بك برقية الى وزارة الداخلية بتاريخ ٢٣ آب ١٩١٩م يبين انه لم تتم مراعاة الاوامر الحكومية المصيبة ضد التشكيلات الوطنية لانها اعطيت بحجة وجوب اتخاذ هذا الموقف تجاه قوات الائتلاف، وذلك كي يبينوا انهم على حق. وقد اتخذ علوي بك التدابير من اجل منع السلوك الايجابي الذي ابداه الضباط القادمون الى المنقطة من اجل التفتيش تجاه القوات الوطنية. ويبين لنا في نفس الوثيقة انه بدأ بمنع التشكيلات الوطنية والعصابات في المنقطة.٢٤

وقد بين مفتي دنيزلي ورئيس الهيئة العلمية احمد خلوصي افندي ان ردود الفعل الشعبية لن نتنهي إلا بتأمين الصلح وانهاء التجاوزات والتعديات بشكل قطعي في المنقطة.٢٥

والحقيقة لقد كانت ولاء الشعب وانقياده للحكومة قوية . لكن كان يجب ضمان سلامة الروح والمال والعرض والشرف اولاً ثم المطالبة بالسكون٢٦ وفي نفس الايام اعرب الاشراف والحرفيون وزمرة الصناع الذين كانوا يعقدون مؤتمرهم في باليكسر بمشاركة منتسبي القوى الوطنية عن ولائهم وارتباطهم بالدولة والخلافة.٢٧

ولم تصل حكومة الداماد فريد - التي رأت احترام الشعب وارتباطه والتي لم تحصل على شئ بالطرق السياسة الى مرحلة ابداء رد الفعل ولو بشكل محدود الا بعد لقاءات اماسيا. وإذا تناولنا ذلك على انه دليل على تغيير في السياسة، فقد تقرر قيام قواتنا العسكرية بالمواجهة في حالة تعرض اي بلدة او قصبة من اراضينا لاعتداء من طرف قوات الائتلاف دون إعلامنا مسبقاً ٢٨.وهنا ايضا تفكر الحكومة بأنها لن تعترض إذا اخبرت مسبقاً. ويجب ان ننبه هنا ان اهم سبب لرد الفعل هذا الضعيف والمحدود هو الضعف السياسي والاقتصادي والعسكري. ورغم ذلك كله فإننا نجد السلطان في إسطنبول يعود الى مفهومه الذي كان في بداية الامر: "بينما نتقدم نحو السلام المطلوب خطوة خطوة بعد الانسحاب، فإن الإغتشاشات الواقعة باسم الوطنية صارت في حالة خطرة، واوقفت الجهود المبذولة من اجل السلام". ويأمر السلطان بتطبيق الإجراءات القانونية بحق منظمي ومشجعي هذا العصيان في حالة استمراره.٢٩

والذي نشاهده في النتيجة ان الذين يحملون مسؤولية إدارة الدولة لا يعرفون الشعب ولا إمكانياتهم بالقدر الكافي. والاصوات المحقة المحلية التي ترتفع بشكل نادر لم تكن مؤثرة. كما انه بسبب الاخفاق الذي استمر طويلاً للمسؤولين في الدولة ادى الى تعبهم ومللهم. وإننا نشاهد ان الذين يعرفون الشعب ويؤمنون به قاموا بتخليص البلاد وحققوا قفزات جديدة بتقييم الوضع بشكل جيد والحركة بشكل منتظم. لكن هؤلاء لم يعترفوا بالادارة الموجودة وقاموا بتغييرات جذرية. وإن سعيداً النورسي رأى العالم الاسلامي ومصالحه العامة بالدرجة الاولى، ومصلحته الشخصية والوطنية والقومية بالدرجة الثانية، وأنه سيتم الكفاح بالايمان والعزة الاسلامية للشعب دون رفض القديم ولا انغلاق على الجديد، وبذلك نستطيع الاقول انه قيم باصابة انه سيكون نموذجاً ومثالاً لمسلمي العالم. وإن تأليفه للخطوات الست بطراز مؤثر الى ابعد الحدود تجاه ضغوط الحرب النفسية للانجليزي وإخباره بالاخطار الحقيقية للمسؤولين بشكل معقول امر ملفت للنظر. وقد بين بشكل وجيز ان إدعاءات الانجليز التي تشاهد لأول وهلة وكأنها صحيحة؛ - انه استحققنا المصيبة ، - أننا صادقنا الكافرين الآخرين، - إن الذين أداروا البلاد حتى الآن اساؤا لنا، - ان قصد حركة الاناضول مختلف، - إن ارادة الخلافة ظهرت لصالحهم، وأننا لن نستطيع فعل الشئ الذي لم نستطع فعله مع حلفائنا وغيرها - أنها تهدف الى حرمان المسلمين من قواهم المعنوية بعد حرمانهم من قواهم المادية بشكل كبير، وانهم يسعون لهزمية العالم الاسلامي والاسلام بشخص العثمانيين والقضاء عليه تماماً. وإننا نستطيع القول انه دعم الحركة الوطنية - التي تسعى لعرقلة ذلك دون الاهتمام بالجزئيات غير مهمة حول غاية قادة الحركة- حتى النهاية في تخليص الامة والدولة والأهم من ذلك كله في تخليص العزة الاسلامية.

---

* الاستاذ المساعد د. جزمي أر أصلان: ولد سنة ١٩٦١م في أظنة دخل فرع التاريخ بكلية الآداب بجامعة إسطنبول سنة ١٩٧٩م. اكمل الماجستير سنة ١٩٨٥م. وسافر الى لندن سنة ١٩٨٩م لإجراء الدراسات في الارشيف. وحصل على درجة الدكتوراه في "سياسة الدولة العثمانية حول الاتحاد الاسلامي عهد السلطان عبدالحميد الثاني" سنة ١٩٩١م. وسنة ١٩٩٤م حصل على درجة استاذ مساعد بتاريخ الجمهورية التركية. نشر دراساته العلمية حول التاريخ العثماني عهد السلطان عبدالحميد الثاني ومرحلة تأسيس الجمهورية التركية. ولا يزال يعمل استاذا مساعداً بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة إسطنبول.

١ نجم الدين شاهين أر، الاوجه غير المعروفة لبديع الزمان سعيد النورسي، إسطنبول ١٩٩١م، ص ٢٥٢

٢ بديع الزمان سعيد النورسي، طلوعات، انقره، ١٩٧٦م، ص٨٠.

٣ طلوعات/ انقرة - ١٩٧٦ ص ٨٠

٤ Bilge Criss ، إسطنبول تحت الاحتلال ١٩١٨- ١٩٢٣، إسطنبول ١٩٩٤م، ص ٧٣.

٥ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء، مديرية القلم الخاص بوزارة الداخلية، ٥٢- ٢/٨١؛ ٥٤- ٢/٤٤، ١٦

٦ نفس المصدر، ٥٢- ٣/٣١. برقية تحسين بك بتاريخ ٢تموز ١٩١٩م.

٧ الوثائق المتعلقة بأتاتورك، انقرة ١٩٨٢م، ص٤٦ "وثيقة ١٤٨

٨ نفس المصدر ، ص ١٥٥

٩ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء، مديرية القلم المخصوص بوزرة الداخلية ٥٣-٢/٦٣ لفيفة

١٠ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء، مدرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية ٤٩-٢/٥٧. صلاحي صونيك، حرب الاستقلال التركية والسياسة الخارجية مج ١-٢، انقرة ١٩٨٧- ١٩٩١.

١١ والحقيقة إن سلوك الحكومة من اجل عمل شئ ما سياسة، بالالتجاء الى إنصاف المستعمرين وعدم ابداء اية ردة فعل هو سياسة لا اساس لها. حتى ان السلطان نفسه كان يشتكي، حيث ان الانجليز كانوا لا يعبئون بالحكومة والمجلس، ويطلبون كل شئ منه ويجبرونه على فعله، لكن عندما كان يطلب مناقشة السلام ، يقولون له انهم ليسوا ممثلين سياسيين ولا يملكون صلاحيات بذلك، وانه لا يمكن التوصل الى شئ بذلك، انظر علي فؤاد ترك كلدي ما رأيت وشاهدت، انقرة ١٩٨٨م، ص ١٨٢- ١٨٣.

١٢ المادة التي تصرح للمستعمرين احتلال الاماكن التي يعرفونها تشكل خطراً عليهم.

١٣ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء، قلم الشيفرة بوزارة الداخلية ٢٢٢/٩٩.

١٤ نفس الوثيقة السابقة

١٥ الارشيف العثماني برئاسة الوزارء، مديرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية ، ٥٣- ١/٤٣، لفيفة.

١٦ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء، مديرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية، ٥٢- ٢/٤٤، لفيفة م.

١٧ نفس الوثيقة.

١٨ الأرشيف العثماني برئاسة الوزراء، مديرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية، ٥٣- ٢/٣٤، لفيفة.

١٩ نفس الوثيقة، لفيفة ٤

٢٠ الأرشيف العثماني برئاسة الوزارء، مديرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية ، ٥٣- ٣/٣، لفيفة ١. تحريرات من وزارة الداخلية الى قائمقامية قضاء صالحلي.

٢١ الارشيف العثماني برئاسة الوزراء ، مديرية القلم المخصوص بوزارة الداخلية، ٥٤- ٢/٤٤، لفيفة ١.

٢٢ نفس المصدر، ٤٩/٥٢٣، لفيفة ٦/٣

٢٣ نفس الوثيقة.

٢٤ نفس المصدر، ٥٣- ٢/١٠٩.

٢٥ نفس المصدر، ٥٣- ٢/٣٩. البرقية المرسلة من دار الافتاء بتاريخ ٢٨ تموز ١٩١٩م.

٢٦ نفس المصدر، ٥٤- ٢/ ٤٤. لفيفة ١٦ .

٢٧ نفس المصدر، ٥٣- ٢/٤٠، لفيفة ٢.

٢٨ نفس المصدر، ٥٣- ٢/٣٤، لفيفة ١-٢

٢٩ خط الهمايون "الامر السلطاني" لمحمد السادس وحيد الدين، في ٥ نيسان ١٩٢٠